﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤﴾ [لقمان: 34]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرَّبـطُ بين الآخـرة والأُولى وكـون مفاتيح الغيب المخفيَّة لا يعلمها إلّا ربُّ البريَّة

لمّا ذكر في الآية السّابقة وجوب تعظيمه بالتَّقوى، وتعظيم اليوم الآخر بخشيته والجاهزيَّة له، وأخبر أنَّ ذلك وعدٌ حقٌّ، وأنَّه واقعٌ ما له من دافعٍ، ولمّا كان وقوع ذلك الوعد مُقترنًا بقيام السّاعة، وكان علم وقتها من مفاتيح الغيب الَّتي لا يعلمها إلّا هو؛ أخبر - هنا - في هذه الآية تفصيل تلك الغيبيّات الَّتي استأثر بعلمها، فذكر السّاعة وأخواتها في الغيوب الَّتي هي من علوم الألوهيَّة الكبرى لإثبات قصور علم البشر، وأنَّ الله تعالى هو المُختَصُّ بعلم ذلك جميعه؛ لأنَّه عليمٌ خبير، محيط بالظّواهر والبواطن، لا يخفى عليه شيء منها[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: (سوع) أصلٌ يَدُلُّ على اسْتِمْرارِ الشَّيْءِ ومُضيِّهِ، مِنْ ذلكَ السّاعَةُ سُمِّيَتْ بذلكَ، يُقالُ: جاءَنا بَعْدَ سَوْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وسُواعٍ، أيْ: بَعْدَ هَدْءٍ مِنْهُ[2]، والسّاعَةُ في الأصْلِ تُطْلَقُ بمعنيَيْن: جُزءٍ مِنْ أربعةٍ وعِشْرينَ جُزءًا هيَ مجموعُ اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، والثّاني: جُزءٌ قَليلٌ مِنَ النَّهارِ أوِ اللَّيْلِ[3]، يُقالُ: جلستُ عِنْدَكَ ساعَةً مِنَ النَّهارِ، أيْ: وقْتًا قليلًا منه، ثُمَّ استُعير لاسْم يَوْمِ القيامَةِ[4]، قالَ

(1) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 414.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوع).
(3) ابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب: (سوع).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (سوع).

الزَّجّاجُ: معنى السّاعَةِ في كُلِّ القُرآن: الوَقْتُ الَّذي تَقُوم فيهِ القيامَةُ، فَلِقلَّة الوَقْتِ الَّذي تقُوم فيهِ سَمّاها ساعَة[1]، والمُراد بالسّاعة في الآية: يوم القيامة.

2) ﴿ٱلْغَيْثَ﴾: (غيث) أصلٌ صحيحٌ، وهو الحَيا النّازِلُ من السَّماءِ[2]، فالغَيْثُ: المطر، وقد غاثَ الغَيْثُ الأرضَ، أيْ: أصابها، وغاثَ اللّه البلاد يَغيثُها غَيْثًا، وغيثَتِ الأرضُ تُغاثُ غَيْثًا، فهي أرضٌ مُغيثةٌ ومغيوثة[3]، الغَوْثُ يُقالُ في النُّصرة، والغَيْثُ في المطر[4]، ومن المجاز: الغَيْثُ: الكَلأُ يَنْبُتُ بماءِ السَّماءِ، ومنه أيضًا: غاثَ النَّوْرُ بالفَتح، يَغيثُ، أيْ: أضاءَ، وجمع الغَيْثِ: أغْياثٌ، وغُيُوثٌ[5]، قال ذو الرُّمَّة: "قاتل اللّهُ أمَةَ بني فلان، ما أفصحَها! قلتُ لها: كيف كان المطر عندكم؟ فقالت: غِثْنا ما شئنا"، وربَّما سُمّي السَّحابُ والنَّبات بذلك[6]، وغاث الغيثُ الأرضَ غيثًا: نزل بها، وسُمّي النَّبات غيثًا تسميةً باسم السَّبب، ويُقال: رعَيْنا الغيثَ[7]، والمقصود بالغَيْثِ في الآية: المَطَرُ الآتي بعد جفافٍ.

3) ﴿ٱلْأَرْحَامِ﴾: (رحم) أصلٌ يدُلُّ على الرِّقَّةِ والعَطْفِ والرَّأفة، يُقالُ من ذلك: رحِمهُ يرحَمُهُ؛ إذا رَقَّ له، وتَعطَّفَ عليه، والرَّحِمُ: علاقةُ القرابةِ، ثُمَّ سُمّيَتْ رَحِمُ الأُنْثَى رَحِمًا مِنْ هذا؛ لأنَّ منها ما يَكُونُ ما يُرْحَمُ، ويُرَقُّ له مِنْ ولَدٍ[8]، وهي بَيْتُ مَنْبِت الوَلَدِ ووِعاؤُه في البطن، وهيَ مُؤَنَّثَةٌ، وجمعها: الأرحامُ[9]، والمُراد بها هنا: مستودعُ النُّطفة في بطن المرأة، ومكانُ تربيةِ الجنين ونموِّه وتكوينه بالطَّريقة الَّتي يشاؤها اللّه تعالى، حتَّى يبرزه إلى الوجود بشرًا سويًّا[10].

4) ﴿تَكْسِبُ﴾: (كسب) أصلٌ يدُلُّ على ابتغاءٍ وطلَبٍ وإصابةٍ، يُقالُ: كَسَبْتُ الشَّيء، أيْ: طلَبْتُه[11]، ومنه الكَسْبُ: وهو ما يتَحرّاه الإنسانُ ممّا فيه اجتلابُ نَفْعٍ، وتحصيل حظٍّ،

(1) الزّجاج، معاني القرآن: 4/ 221، والواحديّ، التّفسير البسيط: 8/ 84، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس: (سوع).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (غيث).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (غيث).
(4) الرّاغب، المُفردات: (غوث).
(5) الزّبيديّ، تاج العروس: (غيث).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (غيث).
(7) الفيوميّ، المصباح المنير: (غيث).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحم).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (رحم).
(10) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 2/ 25.
(11) ابن فارس، مقاييس اللغة: (كسب).

كَكَسْبِ المال، وقد يُستعمل فيما يظنُّ الإنسان أنَّه يجلبُ مَنفعةً، ثمَّ استجلَبَ به مَضرَّةً، ويُقالُ فيما أخذه لنَفْسِه ولغيره؛ ولهذا قد يتعدَّى إلى مفعولَيْن، فيقال: كَسَبْتُ فلانًا كذا، والاكتِسابُ لا يُقالُ إلّا فيما استفدتَهُ لنفسك، فكلُّ اكتِسابٍ كسبٌ، وليس كلُّ كَسْبٍ اكتسابًا[1]، والمُراد بالكَسْبِ في الآية: ما يُحصِّله المَرءُ بعِلْمه لإرادةِ نَفْعِ نَفْسِه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مفاتيحُ غيب الله تعالى لا يعلمها مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَل

يُبيِّنُ الله ﷻ الأمورَ الَّتي استأثرَ بعلمها، فلا يَعلَمُها نبيٌّ مرسَلٌ، ولا مَلَكٌ مُقرَّبٌ، فضلًا عن غيرهما، فيقولُ: إنَّ اللهَ تعالى وحْدَه عِندَه علمُ حلول ميقات القيامة، ويُنَزِّلُ سبحانه وحْدَه المطَرَ بقُدرته، ويَعلَمُ وقْتَ نُزوله، وغيرَ ذلك من شُؤونه، ويَعلَمُ وحْدَه ما في أرحام الأمَّهات ممّا يُريدُ اللهُ تعالى أن يَخلُقَه فيها، ولا تدري نفْسٌ ما الَّذي ستَكسِبُه في يوم غَدٍ من كسْبِ دينها ودُنياها، فاللهُ الحقُّ وحْدَه يَعلَمُ ذلك، ولا تَدري نَفْسٌ في أيِّ أرضٍ يكونُ مَوتُها، فهو سبحانه وحْدَه مَن يختَصُّ بعِلم ذلك، فهو ذو علم بكلِّ شيءٍ، وهو مُحيطٌ بالظَّواهِرِ والبواطِنِ، والخفايا والسَّرائِرِ، لا يخفَى عليه شَيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، سبحانه وتعالى عمّا يشركون[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ الآيةِ عن سابقتِها:

وعْدُ الله يراه المؤمن قريبًا ويراه المرتابُ الجاحد بعيدًا

جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ وقع جوابًا لسؤالٍ مُقدَّر ينشأ في الأذهان بعد قوله تعالى: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾، كأنَّ قائلًا يقول: متى هذا اليوم الَّذي يتحقَّق فيه ذلك الوعد؟ فأُجيبَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾[3].

(1) الرّاغب، المُفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (كسب).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 584، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 221، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 653.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 106.

دلالةُ استهلالِ الآية بالتَّوكيد:

انفرادُ اللهِ بعلم السّاعة كنايةٌ عن لازم ذلك وهو الوقوع

أفاد تأكيد جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ بحرف ﴿إِنَّ﴾ تحقيقَ علم الله تعالى بوقت السّاعة، وذلك يتضمَّن تأكيد وقوعها[1]، ثمَّ "إنَّ اللّهَ المستقلَّ باطِّلاع الغيوب عِنْدَهُ وفي حيطة حضرة علمه ولوح قضائه عِلْمُ السّاعَةِ، وتعيين وقت قيامها، ولم يُطْلِعْ أحدًا عليها سوى أنَّه سبحانه قد أخبر بوقوعها وقيامها في جميع الكتب المُنزَلة من عنده سبحانه على رسله" [2].

بلاغةُ الإدماجِ بين جُمل الآية:

إظهارُ بعض المعلومات أحيانًا قد يُورِث استيحاشًا وقنوطًا

الغرضُ من الآية الكريمة تقريرُ انفراد الله سبحانه بعلم ميقات البعث، الَّذي أمر النّاس بخشيته في قوله تعالى: ﴿وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمًا﴾، وأدمج إلى هذا الغرض نظائرَه المتشابهة معه[3] في انفراد الله وحده بعلمها؛ تعليمًا للنّاس ما يلزمهم معرفتُه من أمور الاعتقاد في أحوال الغيب الَّتي استأثر الله بعلمها، ليعلم النّاس أنَّ في إخفاء هذه المواقيت عنهم رحمةً بهم، وإفساحًا لنفوسهم، وهي تؤدّي ما كُلِّفتْ به من العمل، فإنَّ تعيين المواقيت يؤذِن بملازمة الحذَرِ الَّذي يُطفئ بهجة النَّفس، فلا تنشرح مهما فعلتْ، وقدَّمتْ، وأيضًا في ذلك الإخفاء الميقاتيِّ، في تلك الغيبيّات المذكورة تعليقٌ للقلوب بالله وحده؛ ليستديم النّاسُ رجاءهم في ربِّهم، بالإعانة والتَّوفيق وإفساح الأمل، ولو اطَّلع النّاس على تلك العلوم تحديدًا وتعيينًا؛ لضاقوا، ويَئِسوا من روح الله، ولذا أراد الله لهم أن يتفرَّغوا إلى ما لهم به طاقة، ويتوفَّروا على أدائه؛ لئلّا تتفسَّخ عزائمهم، وتتوزَّع هِمَمُهم عنه؛ إذا هم علموا الأوقات والكيفيّات.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 196.
(2) علوان، الفواتح الإلهية: 2/ 138.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 196.

عِلَّةُ تقديمِ المُسنَد إليه (اسم الجلالة):

اسـمُ الله أحقُّ بالتَّقديم وأحرى بالإبراز والتَّكريم

لم يقل في السّياق الكريم: (إنَّ علم السّاعة عند الله)، بل قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لأنَّ اسم الله أحقُّ بالتَّقديم، ولإرادة بناء الخبر عليه، وهو قوله تعالى: ﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، فيُخبر عن الله بذلك؛ ليفيد الاختصاص والحصر، كأنَّه قيل: (إنَّ الله وحده عنده علم ذلك)[1] مع ما في ذلك من فائدة تكرير الإسناد لتقوية الحكم، فأسند علم السّاعة إلى الاسم الجليل أوَّلًا، ثمَّ أسنده إلى ضمير الجلالة في ﴿عِندَهُۥ﴾ ثانيًا[2].

نكتةُ تقديم شِبْهِ الجملة ﴿عِندَهُۥ﴾:

تقدَّم الظَّرفُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾؛ فلم يقلِ السياق: (إنَّ عِلْم السّاعَةِ عند الله)؛ وذلك للاختصاص وإفادة الحصر، فيفيد انفراد اللهِ وحده بعلم ذلك، أيْ: عنده لا عند غيره[3].

دلالةُ العنديَّةِ بالظَّرف ﴿عِندَهُۥ﴾:

العـنديَّةُ تُفيد الـخـصـوصـيَّـةَ وتنفي أن يكون ما عند الله عند سواه

مع ما في التَّعبيرِ بالعنديَّة في قوله تعالى: ﴿عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ من إفادة اختصاصه تعالى بذلك العلم؛ لأنَّ العنديَّة شأنها الاستئثار والحيازة الخالصة، فالاختصاص حاصلٌ من نفس لفظ العنديَّة، وحاصل من تقديم الظَّرف مع الزّيادة في إفادة ذلك التَّقديم للحصر، فمجموع التَّركيب أفاد تقوية الحُكم والمبالغة في الاختصاص والحصر[4]، وزاد الفرّاء في معرض تعليقهِ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: أنَّ معنى هذا الكلام النَّفي، أيْ: ما يعلمه إلّا الله ﷻ، قال النّحاس: وإنَّما صار فيه معنى النَّفي لِما ورد عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 21/ 324.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 106.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 197.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 197.

﴿يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: 59]: إنَّها هذه[1]، ويعني بها: أمور الغيب الخمسة الواردة في الآية.

نكتةُ إيثار ﴿عِندَهُۥ﴾ دون (له) أو (لديه):

عِلمُ اللهِ لا يتفاوت في تعلُّقه بالمعلومات

لم يقل في السّياق الكريم: (إنَّ اللَّهَ لَهُ عِلْمُ السّاعَةِ)، أو (إنّ اللّهَ لَدَيْهِ عِلْمُ السّاعَةِ)؛ لأنَّه لو قال: (لهُ)؛ لدلَّ على الاختصاص، ولم يدلَّ على حضور ذلك عنده، ولو قيل: (لديه)؛ لأوهم التَّعبير بـ(لدى) الَّتي هي للحضور أنَّ ذلك كناية عن قُربها جدًّا، وأوهم أنَّ علمه تعالى يتفاوت تعلُّقه بالأشياء بخصوصٍ أو عموم؛ لأنَّ (لدى) أخصُّ من (عِند)، فكانت (عند) أوفقَ للمُراد؛ فإنَّها أفادت التَّمكُّن من العلم مع احتمال تأخُّرها، فسَلِمَتْ من تطرُّق احتمالٍ فاسدٍ إليها[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمصدر ﴿عِلۡمُ﴾ لا بالفعل:

قيامُ السّاعةِ محسومٌ كالآجال لا تغيير لموعدِهِ ولا انتقال

لم يقل في السّياق الكريم: (إنَّ اللّهَ يَعْلَمُ السّاعَةَ)، بل قال: ﴿عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لأنَّه يريد ثبوت تلك الحقيقة حقيقة العلم، وللدَّلالة على ثبوت ذلك واستقراره مجرَّدًا عن الزَّمن؛ عبَّر بالعلم، وأمّا الفعليَّةُ؛ فتدلُّ على الزَّمنيَّة، والزَّمنيَّة تُفيد طروءًا يحصل في الجهة المعلومة، وهذا غير حاصلٍ هنا، ولذلك قال: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ بالفعليَّة؛ لأنَّ ما في الأرحام يطرأ، ويحدث باستمرارٍ، فهو ملازمٌ للزَّمنيَّة، ولذا أخبر عنه بصفة الفعل[3].

موقعُ جملة: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ ممّا قبلها:

اللهُ سبحانه يخلق الغيث ويُنزِّله ويعلم وحده وقتَ إنزاله

جملة ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾، عطف على الجملة الظَّرفيَّة المبنيَّة

(1) عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمهنّ إلّا الله، لا يعلم ما في غد إلّا الله، ولا متى تقوم السّاعة إلّا الله، ولا ما في الأرحام إلا الله ...»، من أفراد البخاري على مسلم، الحديث رقم: (7379)، وعند ابن حبّان باختلاف يسير، صحيح ابن حبان، الحديث رقم: (71).

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 215.

(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 324.

على الاسم الجليل، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، والتَّقدير: (وإنَّ اللهَ يُنَزِّلُ الغَيْثَ)؛ فيفيد الاختصاص بتنزيل الغيث، والمقصود أيضًا: عنده علم وقت نزول الغيث، وليس المقصود مجرَّدَ الإخبار بأنَّه ينزِّل الغيث؛ لأنَّ ذلك ليس ممّا ينكرونه[1]، وإحياء الأرض بعد موتها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ هو الدَّليل على البعث، وهو تأكيد لوعد الله الحقِّ، وإظهار لهذا الفعل الخارق والعلم المُعجِز الَّذي لا يتأتّى من أحدٍ غيره[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعة في ﴿وَيُنَزِّلُ﴾:

أمـــدادُ الـلـه بـالألـطـافِ مُـتـجـدِّدةٌ لا تنقطع

نُظِمَتِ الجملة في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ بأسلوب الفعل المضارع؛ ليحصل - مع الدَّلالة على الاستئثار بعِلم وقتِ ذلك - تجدُّدُ الامتنانِ بتجدُّد الإنزال، ففي اختيار الفعل المضارع إفادة أنَّه سبحانه يُجدِّد إنزال الغيث مرَّةً بعد مرَّةٍ بحسب تقديره وحكمته[3].

توجيهُ القراءاتِ في: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾:

إنـــزالُ الـغـيـث إعـجـازٌ لا يقدر عليه إلّا الخالق القدير

قرأ نافع وابن عامر وعاصم وأبو جعفر بالتَّضعيف: ﴿وَيُنَزِّلُ﴾، وقرأ الباقون بالتَّخفيف: ﴿وَيُنزِلُ﴾ [4]، فالتَّضعيف يدلُّ على وصف حالة التَّدرُّج الَّتي يمرُّ بها المطر في عمليَّة إنزاله، فهو بعد تكوُّنه يتوزَّع في نزوله بحسب المقدار والمكان والوقت الَّذي أراده الله، فلا ينزل دفعةً واحدة، ولو نزل كلُّ المطر دُفعةً واحدة لأهلك الخلق، وقراءة التَّخفيف هي بحسب القدر الَّذي قدَّر الله له بالنُّزول، فهو ينزل مرَّةً واحدةً في مكانهِ ووقته المعلوم[5]، وهذا مِن اختلاف التّنوّع والإثراء.

(1) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 324، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 106، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 197.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 107.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 197.
(4) ابن الجزريّ، تحبير التّيسير، ص: 508.
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 311.

دلالةُ (أل) في لفظ ﴿ٱلۡغَيۡثَ﴾:

الغيثُ عطاءُ اللهِ تعالى لبعث الحياة واستنبات النَّبات

(أل) في الغيث في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ للاستغراق، أيْ: كلُّ غيثٍ ينزل، فالله هو الَّذي أنزلَهُ[1]، والغيث سُمّي المطر غيثًا؛ "لأنَّه يُغيث النّاس من الجوع والفقر؛ ولذا سُمّي الكلأ غيثًا؛ لأنَّه يُغيث الماشية"[2].

نكتةُ العدولِ عن الاسميَّة إلى الفعليَّة:

قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ في السّياق الكريم، ولم يقل: (وَمُنْزِل الغيثِ)، فعبَّر بالفعليَّة؛ للدَّلالة على الحدوث الزَّمني الذي يشهده النّاس، ويشعرون به.

دلالةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿ٱلۡغَيۡثَ﴾ دون غيره:

ليس كلُّ مطرٍ غيثًا ولكنَّ كلَّ غيثٍ نافعٌ

الغيث في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ هو ماء المطر، وآثر التَّعبير بلفظ: ﴿ٱلۡغَيۡثَ﴾؛ استعمالًا لِما يتحصَّل بلفظه الامتنانُ عليهم؛ ذلك أنَّ الغيث هو المطر الَّذي به تزول الشِّدَّة، فهو من الاستغاثة، وهي طلب إزالة الشِّدة، فبالمطر تزول الشَّدائد، شدائد القحط، وشدائد الجدب، فيبقى النّاس عندهم ماء، وعندهم مزارع، فدلَّ لفظُ الغيث على أمرَيْن؛ **الأوَّل:** على إجارة المستغيث، فهو إذا استغاثَ، فإنَّ الله يدركه بهذا الغيث، **الثّاني:** على أنَّه مطرٌ خاصٌّ، وهو مطرٌ نافع لا ضارَّ، ومطرٌ ناجِع له تأثير، ومطرٌ ضروريٌّ بالنِّسبة للنّاس؛ لأنَّه ينقذهم، ويغيثهم، وتزول به شدائدهم، فلولا هذا المطرُ؛ لخنقتهم الشِّدَّة خنقًا[3].

فائدةُ عطف جملة ﴿وَيَعۡلَمُ﴾:

الرّياح لواقحُ الأمطار كما أنَّ النُّطف لواقحُ ما في الأرحام

قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ معطوف على ﴿وَيُنَزِّلُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 215.
(2) الخطيب، أوضح التّفاسير، ص: 503.
(3) ابن عُثيمين، تفسير سورة لقمان، ص: 203.

ٱلْغَيْثَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الَّذي استقلَّ بإنزال المطر، وحمَّل به السَّحاب قبل إنزاله لا غرابةَ في أن يستقلَّ بعِلم ما هو أصغر من ذلك، وهو حَمْلُ الأرحام.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿وَيَعْلَمُ﴾:

صيغة المضارع في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾؛ ليدلَّ على استمرار تجدُّد تعلُّقات العِلم بحسب تجدُّد المتعلَّقات في الخَلْق، فلتجدُّد نشوء الأجنَّةِ في الأرحام شيئًا فشيئًا ووقتًا بعد وقت؛ عبَّر بما يناسب ذلك من الفِعل[1].

ما زالت الأرحامُ تدفع بالمخلوقات لإنبات الحياة واستمرارها

دلالةُ القرينةِ على الاختصاص والحصر:

عُطف المسند الفعليُّ في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ على الجملة الاسمية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، والتَّقدير: (وإنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما في الأرْحامِ)، وقد سبق أنَّ في تركيب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ ما يفيد تقوية الحكم والمبالغة في الاختصاص والحصر، ولذلك فقد أفاد قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ ذلك الاختصاص والحصر أيضًا بقرينة عطفه على ما يُفيد ذلك، كأنَّه قيل: (وَيَعْلَمُ وحْدَهُ ما في الأرْحامِ)[2].

ما في الأرحام غيبٌ والغيبُ لا يعلمه إلّا الله

نكتةُ التَّعبيرِ بالعلم دون غيره:

قال تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾، ولم يقل في السّياق الكريم: (وَيَخْلُقُ ما في الأرْحامِ)، بل الإسناد في العلم؛ لأنَّه لا أحد ينازع أصلًا في الخَلْق - ولو ادِّعاءً - لكن هناك مَنْ يُنازع في عِلم ما في الأرحام.

في الأرحام ما لا إمكانَ للعِلم أن يطَّلع عليه لكونه غيبًا مستورًا عنّا

دلالةُ التَّعبير بالأداة ﴿مَا﴾ دون (مَنْ):

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾؛ للعموم والشُّمول مع الإبهام، أيْ: (يعلم كلَّ ما ينشأ في هذه الأرحام من شيءٍ كاملٍ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 15/ 217، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 106.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 197.

أو ناقص قبل نشأته فيها وبعد نشأته)، والإبهام حاصل بالنِّسبة للمخاطَبين، و(ما) تستعمل لذوات غير العقلاء وصفات العقلاء[1]، وعبَّر بها هنا؛ لأنَّه أراد الصِّفات لا الأشخاص؛ لأنَّ الَّذي في الأرحام يتجاوز خصوصَ الذَّوات، إلى عموم الصِّفات، فهو أعمُّ من الذَّوات؛ لأنَّه قد لا يكون ذاتًا أصلًا؛ لأنَّ الأجنَّة قبل اكتمالها ونفْخ الرّوح فيها ليست ذواتًا، بل حتّى بعد اكتمالها لا تعدُّ ذواتًا عاقلة، بل تُنزَّل منزلة ذلك، بل قد لا يكون ذلك كلُّه، فيعلم ما في الأرحام، هل هي خالية لُقِّحتْ أم لا؟ فقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾، أي: الَّذي في الأرحام.

عِلمُ الأرحام لا يستقصيه الخَلْقُ ولا يحيط بأسراره إلّا الله

عبَّر السياق القرآني بـ﴿مَا﴾؛ لأنَّها أعمُّ وأشمل من (مَن)؛ إذ (مَن) تختصُّ بالعاقل من جهة، ومن جهة أخرى: (ما) تختصُّ بالصِّفات، و(مَن) بالذَّوات، وهنا قال: ﴿مَا﴾ دون (مَن)؛ لأنَّ عِلْمَ ما في الأرحام من حيث الصِّفةُ أبلغُ من علمه من حيث الذّات، وأبلغ من علمه من حيث كونه ذَكَرًا أو أنثى، فالجنين الَّذي في الرَّحم ليس العلم المختصُّ به هو مجرَّد كونه ذكرًا أو أنثى، أو طويلًا أو قصيرًا، فهناك أبلغُ من ذلك، وهو صفات هذا الجنين، ماذا يكون؟ شقيًّا أم سعيدًا، طويل العمر أم قصير العمر؟ هل عمله صالح، أو عمله فاسد؟[2].

(ما) أشملُ وأعمُّ من (مَن)

دلالةُ التَّعبير بالظَّرفيَّة ﴿فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾:

عبَّر بحرف الظَّرفيَّة ﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ الأرحام أوعيةٌ تحفظ ما يُخلَق فيها، واعتناء الشَّريعة الإسلاميَّة بالحفاظ على طهارة الأرحام من الزِّنى والخنا والفحش منهجٌ وقائيٌّ حصيفٌ حتّى لا تختلط الأنساب، وتتداخل السُّلالات، ناهيك عن إلزام المرأة المُطلَّقة أو الأرملة بالعدَّة الَّتي من مقاصدها استبراء الرَّحم ونقاء الوعاء الَّذي يحمل شرف الإنسان وهويَّته.

الأرحامُ أوعيةٌ تحفظ ما يُخلَق فيها بمراد الله وتقديره

(1) السّامرائي، معاني النّحو: 1/ 130.

(2) الشعراوي، تفسير الشّعراوي: 19/ 11768، وابن عثيمين، تفسير سورة لقمان، ص: 204.

معنى(أل) في لفظ: ﴿ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾:

(أل) في لفظ ﴿ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ﴾ للاستغراق، وهي قاعدة تنطبق على كلِّ الأرحام بلا استثناء، بل أرحام كلِّ المخلوقات الَّتي تملك رحمًا يتخلَّق فيها الجنين طورًا من بعد طور إلى أن تدفعه قدرةُ الله خارج الرَّحم، فيخرج لمكابدة الحياة، بحلوها ومُرِّها، ويكون دليلًا على عَظَمَة الخَلْقِ وروعته.

لا تعزُبُ دخائلُ الأرحام عن علم ربِّ الأنام

دلالةُ موقع ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ﴾ عطفٌ على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾؛ لإلحاقها بمعنى الاختصاص والحصر في انفراد الله وحده بعِلم ذلك ونفيه عمَّن عداه[1].

نـفـيُ الـدّرايـة بـنـفـي الـعِـلـم دلـيـلٌ عـلـى أنَّ عِـلـمَ الـبـشـرِ محدودٌ

دلالةُ (ما) في: ﴿وَمَا تَدۡرِي﴾:

(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ﴾ نافية تنفي مدخولها على جهة الاستمرار، أيْ: لا يمكن بحالٍ أبدًا أن تعلم نفسٌ ماذا تكسب غدًا، وذلك حكمٌ مستمِرٌّ دائمٌ لا انخرامَ له، ولا استثناء منه[2].

الدّرايةُ منها ما أذن الله به وما لم يأذن به الله

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿وَمَا تَدۡرِي﴾:

الدّراية في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ﴾ بمعنى العِلم، أيْ: (وَما تَعْلَمُ)، وهي من أفعال اليقين، أيْ: (وما تعلمُ نفسٌ على جهة اليقين) الَّذي عليه التَّعويلُ والاعتبارُ في المعلومات واصطفاء الدّراية من أفعال اليقين، كناية عن عدم الاعتداد بالتَّوقُّع؛ لأنَّه مظنونٌ والعبرة لليقين؛ لكونه مجزومًا به[3].

اليقينُ هو الَّذي عليه التَّعويل والاعـتـبـار في اعتماد الأخبار

نكتةُ التَّعبيرِ بالدِّراية دون العلم:

عبَّر بالدِّراية دون العلم؛ للدِّلالة على أنَّه عِلمٌ خاصٌّ مسبوق

الـدِّرايـة عـلـمٌ يـحـصـل بـبـذلٍ وجُهد

(1) الخطيب، التّفصيل: 21/ 175.
(2) السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 192.
(3) السّامرائيّ، معاني النّحو: 2/ 9.

بجهل أو شكٍّ، أو حاصلٌ بإخبارٍ واطِّلاعٍ من الآخرين، أو حاصل بعد دُربةٍ وفحص ومُعالجةٍ وتدبيرٍ واستقصاء، فالدّارية هي العلمُ الحاصل بالمجهود والتَّحرّي، واستخدام المهارة والحيلة في تحصيله، ولذلك لا يُوصفُ الله سبحانه بالدّراية، واصطفاء هذا الفعل يدلُّ على كنايةٍ بديعة في النَّظم، وهو أنَّه إذا كان أمهر النّاس في الخُطَّة والتَّحرّي لا يمكن أن يعلم ماذا يكون له في غدٍ؛ فانتفاء ذلك عمَّن لا حيلة له ولا طاقة من باب أولى[1].

دلالةُ التَّنكيرِ في لفظ ﴿نَفْسٌ﴾:

أنفسُ الخلائقِ محجوبةٌ عن الغيب لا تدري ما يكون في طيّاتِهِ

كلمة ﴿نَفْسٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ نكرةٌ في سياق النَّفي، فتعمُّ كلَّ نفْسٍ مخلوقة من الإنس أو الجنِّ أو غيرهما، والمعنى: "وما تدري نفسٌ من النُّفوس - كائنةً ما كانت من غير فرق بين الملائكة والأنبياء والجنِّ والإنس - ماذا تكسب غدًا من كسب دين، أو كسب دنيا"[2].

بلاغةُ الكناية في: ﴿تَكْسِبُ غَدًا﴾:

جهلُ العبدِ بكسب نفسه أدلُّ على ضعفه وافتقاره

قوله تعالى: ﴿تَكْسِبُ غَدًا﴾ كنايةٌ عن عدم العِلم بما هو أبعد من ذلك في الزَّمان؛ فإذا تحقَّق الجهل بالزَّمن القريب؛ فخفاء العِلم بالزَّمن البعيد أولى، وهو كنايةٌ أيضًا: عن نفي الدِّراية بما يكسب غيره؛ لأنَّه يجهل ما تكسبه نفسُه، فجهلُه بما يكسبه غيره أولى، وفيه إشارة إلى أنَّ أفعال الإنسان مخلوقةٌ لله، ولو كانت من خلْقِهِ ما انتفى عنه علمها[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿تَكْسِبُ﴾:

الخيرُ والشرُّ القدريّان كسبٌ للعبد باعتبار أثرهما عليه

التَّعبيرُ بالكسب في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾؛ للدَّلالةِ على ما يُفْعَلُ عزمًا واختيارًا، كأنَّه قيل: حتّى ما تبيِّتون

(1) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 2/ 9.
(2) الشّوكانيّ: فتح القدير: 4/ 282.
(3) البقاعيّ، نَظْمُ الدُّرر: 219/ 15.

فِعلَه، فلا أحد يضمن لكم وقوعه، لا أنتم ولا غيركم، فقد تتغيَّر الإرادات، فيقع خلاف ما دُبِّر، وقد لا تتغيَّر ولكن تحدث العوارض، فلا يتمُّ، فالتَّعبير بالكسب كنايةٌ عن نفي لازمهِ ممّا سيقع من غير تدبيرٍ له ولا عزم عليه، فإنَّه أولى في نفي درايتهم عنه[1].

موقعُ جملة: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ﴾:

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ معطوف على ما قبله، وهو قوله: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾؛ ليدلَّ على أنَّ الأنفس جميعًا تشترك في حُكم نفي الدِّراية المذكور في الجملتَيْن، فإذا اشتركت في انتفاء عِلمها بما هو لصيقٌ بها، وما هو واردٌ عليها، ويلتبس بها؛ فكيف بما انفكَّ عنها، وكبُر عليها، وكان أخفى عن ملاحظتها من المذكورات قبلها من أحوال السّاعة والغيث والأرحام[2].

الإنسانُ عِلمه بما اطَّلع عليه قليل وما لم يطَّلع عليه أقلُّ

معنى الباءِ في: ﴿بِأَىِّ أَرْضٍ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ ظرفيَّةٌ، فهي بمعنى (في)، أيْ: في أيِّ أرضٍ تموت؟ و(أيٌّ) استفهاميَّةٌ، فتأويل الكلام على الاستفهام المكانيِّ، كأنَّه قيل: (وَما تَدْري نَفْسٌ أيْنَ تَمُوتُ؟)، والاستفهام غرضه التَّقرير بالجحود المفهوم من نفي الدِّراية في: ﴿وَمَا تَدْرِى﴾، وتدلُّ (أيٌّ) هنا على الإطلاق والإبهام؛ ولذا أُضيفت إلى نكرة ﴿بِأَىِّ أَرْضٍ﴾؛ لإفادة الشّيوع وعدم التَّعيين[3].

الإنسانُ يتكبَّرُ ويطغى ويذوق في النِّهاية مرارة الرَّدى

دلالةُ التَّنكيرِ في لفظ ﴿أَرْضٍ﴾:

التَّنكير في ﴿أَرْضٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿بِأَىِّ أَرْضٍ﴾؛ للإبهام والشّيوع، فيتناول الأرض العامَّة، وهي أرضُ القُطْر والبلد، كما يُقال: مات في مصر أو في العراق، أيْ: في أرض البلدَيْن، ويتناول

يُقال لموضِع دفْنِ الإنسانِ إنَّها أرضُه تعبيرًا عن تربة دفنه

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 78.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 218، والخطيب، التّفصيل: 21/ 175.
(3) السّمين، الدّر المصون: 9/ 75، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 326، والخطيب، التفصيل: 21/ 175.

الأرض الخاصَّة، وهي الموضع الَّذي يموت فيه الإنسان، ولو كان في حجرته أو في أيِّ موضعٍ من بلده[1].

نكتةُ العدولِ عن الزَّمن إلى المكان:

لا قدرةَ للإنسان على الفِكاك من الـزَّمـان بخلاف المكان

لم يقل في السّياق الكريم: (بِأيِّ وقتٍ تَمُوتُ)، بل عُبِّر بذِكْر المكان: ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾؛ لأنَّ المكان يتأتّى معه إمكان الاختيار والتَّحديد بخلاف الزَّمان، فإنَّ الإنسان قد ينفكُّ عن مكانٍ معيَّن ويختار مكانًا آخر، وأمّا الزَّمان؛ فلا اختيار له معه؛ لعدم القدرة على الانفكاك عن الوقت، فإذا كان لا يدري بما له نوع اختيارٍ فيه؛ فكيف بما لا اختيار له معه[2]؟.

نكتةُ العدول من الإثبات إلى النَّفي:

الكسْبُ والمصير أكـبْرُ قضيَّتَيْن مـن حيث الأثـر والتَّأثير

جاء العدول في أسلوب النَّظم من الإثبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى النَّفي في: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾؛ لقصد إسناد عدم الدِّراية إلى الأنفس؛ لإثبات البون الشّاسع بين علم الخالق المحيط، ورُتبة المخلوق في ذلك العِلم، حيث لا مقدار له في درايةِ كسْبِهِ وعاقبةِ أمره، فهو جاهلٌ بالوسائل والعواقب، لا يستبينها إلّا ساعة تلبُّسه بها، وأمّا قبل ذلك؛ فلا يعلم عنها شيئًا، وإن اجتهد، ففي نفي الدِّراية المخصوصة بالمخلوق دون الخالق وتكريرها وإيثارها في النَّظم دون العلم، لما فيها من معنى سبْقِ الجهل والاحتيال، لإزالته تحصيلًا للمعرفة[3].

نكتةُ إسناد الغيوب بين الإثبات والنَّفي:

بيانُ أنَّ الغيوب بعضها أعظم في الخفاء من بعض

في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أضاف الله تعالى العلم إلى نفسه في الثَّلاثة من الخمسة المذكورة، ونفى العلم عن المخلوقين في الأخيرين منها في قوله: ﴿وَمَا

(1) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 19/ 11770.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 15/ 219.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 12/ 325.

تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ﴾، مع أنَّ الخمسةَ سواءٌ في اختصاص الله تعالى بعلمها، وانتفاء علم العباد بها؛ وذلك لأنَّ الثَّلاثة الأُوَل أمرها أعظم وأفخم، فخُصَّتْ بالإضافة إليه تعالى، والأخيرَين من صفات العباد، فخُصّا بالإضافة إليهم، مع أنَّه إذا انتفى عنهم علمُهما؛ كان انتفاء علمِ ما عداهما من الخمسة أولَى وأجدر[1].

دلالةُ موقع جملة التَّعليل الأخيرة:

جملة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ في موقع التَّعليل ممّا قبلها، كأنَّه قيل: استأثر اللّهُ بعلم هذه الأشياء دون غيره؛ لكونه عليمًا خبيرًا، ولا عليم خبير إلّا هو، أو الجملة استئناف بيانيٌّ في موقع جوابٍ لسؤالٍ مُقدَّرٍ نشأ من نفي دراية الأنفس: ماذا تكسب غدًا؟ وبأيِّ أرضٍ تموت؟ كأنَّه قيل: فمَنْ يعلم ذلك؟ فقيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾، وهو جوابٌ بأنَّ الله تعالى يعلم ذلك وزيادة، ويصحُّ أن تكون جملة الفاصلة من تتمَّة الجملتَيْن قبلها، أي: لا تدري نفسٌ الشَّيءَ الَّذي تكسبه غدًا، ولا تدري مكانَ موتها؛ لأنَّ الله عليمٌ خبير، ولا شيء كمثلِهِ في ذلك، وعلى هذا الوجه، فيُستفاد الاختصاص والحصر في العلم لله بهذَيْن الأمرَيْن استقلالًا، وليس بقرينة عطفهما على ما استُفيد من الاختصاص والحصر في صدر الآية[2].

لا يعلمُ الإنسانُ شيئًا إلّا بتيسير اللهِ له ذلك

عِلَّةُ اصطفاءِ الوصفَيْن ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾:

جاءتِ الفاصلةُ الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ باصطفاءِ وصفَيْ ﴿عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾؛ للإشارة إلى التَّسوية بين علم الظّاهر والباطن عنده ﷻ، فالعليم على مثال المبالغة، أي: المُبالغ في العلم، فهو شامل العلم بالكليّات والجزئيّات، وهو إثباتٌ للعلم المُطلق

الوصفُ بالخبيرِ أخـــصُّ مـن الوصف بالعليم

(1) الأنصاريّ، فتح الرّحمن، ص: 449.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 110.

بظواهر الأمور وخفاياها، و﴿خَبِيرٌ﴾: إثباتٌ للعلم الخاصِّ بخبايا الأمور وبواطنها، وخفاياها ولطائفها، ومستودعاتها وأسرارها، فوصْفُ ﴿خَبِيرٌ﴾ بعد ﴿عَلِيمٌ﴾ خصوصٌ بعد عموم؛ لإثبات وسْع العِلم الإلهيِّ وكماله في الإحاطة والشُّمول والاستيعاب المُطلق للمعلومات كلِّها، الَّتي تزيد بالأضعاف المضاعفة غير المتناهية على هذه المذكورات في الآية، فلا غرابة إذًا أن يجعل الله هذه الأشياء من عيون الغيب ومفاتيحه الَّتي لا يستقلُّ أحدٌ في المخلوقات بدرايتها والعلم بها[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

العلم والمعرفة والدِّراية:

يُـوصَـفُ الله بالعِلم ويُنَزَّهُ عـن المـعـرفـة وكذلك الدّراية الَّتي هي أعلى منها

العِلمُ إدراكٌ لذات الشَّيء وإدراكٌ لأثره الَّذي هو دليلٌ عليه، ولذا فهو إحاطةٌ بالجوهر والعرض، وأمّا المعرفة؛ فتتعلَّق بالأثر الظّاهر للشَّيء لا بحقيقة الشَّيء، وأصل المعرفة: تمييزٌ يقوم على ملامح ظاهرة للأشياء أخذًا من استعمال التَّركيب في الملامح الظّاهرة الَّتي تُميِّز الشَّيء من غيره، ولذا تعلَّقت المعرفة في أصل معناها بالمُفردات لا بالكلّيّات، ويسبقها جهل، وأمّا العلمُ؛ فيتعلَّق بهما[2].

والله سبحانه لا يُوصف بالمعرفة، فلا يُقال: الله عارفٌ بكذا؛ لأنَّ المعرفة تُستعمل في العلم القاصر الظّاهر الَّذي يُتوصَّل إليه بالتفكُّر والتَّدبُّر[3]، والتَّفكُّر والتَّدبُّر يستلزمان جهلًا سابقًا عليهما، ويستلزمان عُسْرًا في الإدراك ومحاولةً في التَّصوُّر، فضلًا عن كون المعرفة تبحث في الأثر الظّاهر؛ لتنفُذ إلى ما وراءه، والله تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك سبحانه، والفرق الآخر بينهما يظهر في أنَّ الإنسان

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 15/ 221، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 110.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (عرف).
(3) الراغب، المُفردات: (عرف).

لا يُقال عنه: فلانٌ عَلِمَ اللّهَ، بل يُقال: عرفَ اللّهَ؛ لأنَّ معرفة البشر باللّه حاصلةٌ بتدبُّر آثاره في خلقه دون إدراك ذاته[1].

وأمّا الدّراية؛ فأصلها (درى) - غير مهموز - يدلُّ على قصد الشَّيء واعتماده طلبًا، وعلى حِدَّةٍ ونفاذٍ يكون في الشَّيء[2]، والدِّراية: هي العِلمُ المُدْرَك بضرْبٍ من الحيلةِ والمعالجةِ والتَّحرّي[3]، فالدِّراية: عِلْمٌ فيه نفاذٌ إلى ما خَفيَ، وقد عرَّفها الرّاغب بأنَّها كالفِطنة في النَّفاذ إلى الباطن والحقيقة[4]، ولذا فباعتبار أنَّها تحصل بعد معالجةٍ وتحرٍّ ومحاولةٍ لإزاحة الجهل والخفاء عن المعلوم، فإنَّها كالنَّتيجةِ المسبوقةِ بمُقدِّماتها[5]، ولذا عُبِّرَ في الآية بالدِّراية؛ ليدلَّ على أنَّها نوعٌ من العِلم، لا ضربٌ من المعرفة، فالدِّراية أعلى من المعرفة.

(1) الراغب، المُفردات: (عرف).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (درى).
(3) الراغب، المُفردات: (درى).
(4) الراغب، المفردات: (درى).
(5) الكفوي، الكليات، ص: 67.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»